



بِقَلْمِ الشَّيْخِ عَلَيِ الطَّنَطَوِيِّ

مقدمة للمقالة بقلم سبط الشیخ، مجاهد دیرانیة: نشر جدی - رحمه الله۔ هذه المقالة سنة 1954 في ظروف تشبه الظروف التي نعيشهااليوم، إلا أن الأسماء تغيرت؛ كان "إمام" الأزهر عبد الرحمن تاج فصار أحمد الطیب، وكان "إمام" العسکر جمال عبد الناصر فصار عبد الفتاح السیسی، وما زالت الحرب على الإسلام والإخوان هي هي، إلا أن الإخوان كانوا وحدهم في المیدان في ذلك الزمان البعید فصاروا اليوم قطرة في بحر جمهور أبي حُرَّ عظيم لا يرضى بديلاً بالحرية والإسلام... ولن يكون اليوم كالأمس إن شاء الله.

توضیح: تولی "الشیخ" عبد الرحمن تاج مشیخة الأزهر بقرار من طاغیة مصر البائد، جمال عبد الناصر، في بداية سنة 1954، وهو نموذج للعالم الذي بیبع دینه بدنيا غیره؛ كان سیفاً في يد جمال عبد الناصر في حربه الهمجیة ضد الإخوان، فأصدر في "أعکاب تمثیلیة" حادثة المنشیة المشهورة بیاناً شرساً هاجم فيه الإخوان وحرّض عليهم باعتبارهم "جماعة تعمل على تشویه الدين" واصفاً إیاهم بأنهم "خوارج لا تُقبل منهم توبه ولا شفاعة"! فرَّدَ عليه جدی بهذه المقالة.

---

كتب الشیخ علی الطنطاوی رحمه الله:  
إنْ مات شیخ الأزهر الشیخ عبد الرحمن تاج فلیس أول شیخ یموت، ولقد مضی من قبله أئمۃ فُحولٌ كانوا مصابیح الهدی

وكانوا بحار العلم، وكانوا في ثباتهم على الحق جباراً لا تزول حتى تزول عن مطاراتها الجبال... ولكن أول شيخ للأزهر يموت ونفسه "حية" تسعى!

إن من قبله مات ودفن، وهذا عاش ولعن، فما مات في جسده الفاني، ولكن مات قلبه ومات ضميره ومات إيمانه، وباع الآجلة بالعاجلة، وآخر الدنيا على الآخرة، وفضل رضا جمال عبد الناصر على رضا الرب الناصر لأوليائه، القاهر فوق أعدائه، الجبار الذي لا يشاركه كبراءه أحد إلا قصمه...

فحكم - جازاه الله - بتکفير صفة المؤمنين في هذا العصر، الإخوان المسلمين، الشباب الذين نشأوا في طاعة الله، وبشرهم رسول الله - صلی الله عليه وسلم - بأنهم ممن يظلمهم عرش الله يوم لا ظل إلا ظله.

شباب عرفوا الإسلام وتمسكوا به، أموا المساجد على حين يؤمن أتراهم الملاهي والمراقص، وصفوا أقدامهم في هدأ الليل على حين يسهر أولئك في الخزي والعار، وناجوا ربهم في خلوات الأسحار على حين ينام أولئك نوم العجماءات، وحملوا - في سبيل الله - من ظلم الظالمين ما تنتظرون تحته الرواسي، فما لانوا ولا استكانوا، ولا كفروا بالله مذ آمنوا به، ولا ضاقوا بمحن الأيام منذ استعذبوا لذائذ الطاعات.

و جاء في بيانه (الذي أذاعته محطة مصر) بالآيات محرّفات عن مواضعها، والأحاديث مسوقةً غير مساقها، ليوهم عامة المصريين أنه يدافع عن الدين ويتكلم بلسان العلم، فلم يسعني والله السكوت وأنا أعلم أن الساكت عن الحق شيطان آخر، وأن على المسلم أن يقول الحق ولو على نفسه أو صديقه أو زميله، وخفت إن سكتنا جميعاً ولم نرد على هذا الدعوي المفتري أن يعمّنا الله بعذاب من عنده.

ولا أدرى من هو الذي خدع شيخ الأزهر والنفر من علماء السوء الذين شاركوه خزيه، فأخبرهم أن في الإسلام "إكليروس"، وأن شيخ الأزهر كالبابا في القرون الوسطى، يدخل الجنة ويحرم منها ويبيعها قراريط وأمتاراً، ولم يعلم أن الإسلام ليس فيه رجال دين، وأن كل مسلم هو رجل الدين، وأن امرأة عجوزاً ردت على عمر... وما نافق عمر ولا زور، ولكن اجتهد فأخطأ. فلماذا لا أرد على شيخ الأزهر، وهو لا يقاد بعمر ولا يدانيه ولا يوزن بشراك نعله، وهو قد غير وبدل وكذب ونافق، وألزم نفسه قاعدة "من كفر مسلماً فقد كفر"، فكيف بمن يكفر الملايين من صفة المسلمين؟

ولو فرضنا (وهو فرض لا يلزم ولا يثبت حقاً) أن الاشتراك في السعي لقلب الحكم في مصر كفر، فكيف حكم بالتكفير قبل صدور الحكم من هذه المحكمة العجيبة، وكيف عمّمه على الإخوان المسلمين جميعاً في آفاق الأرض وهم ملايين وملايين، من كل شاب رجله خيرٌ من رأس الشيخ المنافق، وقفاه أفضل من وجهه، وساعته منه في طاعته وعبادته خير من عمر في النفاق؟!

وأين شيخ الأزهر؟ وما له خرس عن إنكار المنكرات في مصر: عن الفجور المعلّن، عن الفسق البادي، عن الخمور والشروع، عمّا أحدثه هؤلاء الحاكمون من ألوان المعاشي، من إبعاد الصالحين وإدناه الراقصات والراقصين؟

ما له لم يجد - هو وصحابه هيئة كبار العلماء - ما يثير غضبهم إلا أن يكون في الدنيا هؤلاء الملايين من الشباب المؤمنين الصالحين المصلحين؟

\* \* \*

أنا أعرف مصر من خمس وعشرين سنة، وأعرفها الآن، وأشهد أن ليس فيها من خير جدًّا إلا كان مصدره دعوة الإخوان.

وهل كان فيها من قبل شباب يملؤون المساجد، وطلاب يقumen الليل ويتلون القرآن، ويترافقون على الطاعات تزاحم غيرهم على الراقصات والسينمات؟

وما أنا من الإخوان في قيود السجلات، ولكنني منهم في العقيدة والدين.

وقد عوّدنا الله أن لا أقول إلا الحق، وأن أجهز به إن خرس عنه ضياع الإيمان أو صرخ علماء السوء بغيره، كهؤلاء الذين كتبوا هذا البيان. هؤلاء الذين اغترروا حين سماهم الحاكمون "هيئة كبار العلماء"، وعطس إبليس في مناخيرهم وزين لهم الجاه والمنصب، فبدلوا في سبيله كل شيء، حتى الدين، فجعلوا علمهم مطية يصلون به إلى قلب كل حاكم.

قرروا بالأمس أن فاروق من أشرف المسلمين وأنه من نسل الرسول صلوات الله عليه، ذلك لما كان فاروق هو الملك الذي يعطي المناصب والرتب، فلما زال لم يستحوا أن يجعلوه شيطاناً مريداً، بعد أن جعلوه الملك الصالح المصلح والشريف الحسيب النسيب!

وهم اليوم يقررون كفر الإخوان (أستغفر الله من رواية هذا الهذر)، ولئن عاد الإخوان غداً وصار لهم الأمر عادوا يتزلجون إليهم و يجعلونهم الهادين المهدىين، وسترون.

شِنْشِنة عرفناها من أَخْزَمَ وَخُلُقَ في الصَّفَارِ لِفَنَاهُ وَعَرَفَنَاهُ.

أما الإخوان فقد أثبتت الأيام أنهم صفوة المسلمين في هذا العصر، وأنهم كالذهب المصفى لا تزيده النار إلا صفاء.  
فيا أيها الإخوان:

اصبروا واثبتو، فإنه إن كان شيخ الأزهر عليكم فإن الأمة الإسلامية كلها معكم، والله معكم، ومن كان مع الله فلا يبال أحداً.  
اصبروا آل عمار، موعدكم الجنة!

\* \* \*

وبعد، فهذه تعزية بشيخ الأزهر وهيئة كبار العلماء.

لقد ماتوا، فلا تذكروا بعد اليوم شيخ الأزهر ولا هيئة كبار العلماء! ولو أنهم ماتوا ودُفنتوا لكان خيراً لهم، ولكن ماتت ضمائرهم وماتت قلوبهم، فنطقت ألسنتهم بهذا البيان الذي رضي عنه عبد الناصر وصحابه، وغضب عليهم من أجله الناس جميعاً والملائكة، وغضب عليهم الله المنتقم الجبار.  
إلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الزلزال السوري

المصادر: